الرسالة

(عبرانيين ٢: ٢–١٠)

يا إخوةُ إن كانتِ الكلِمةُ التي نُطِقَ بها على ألسِنَةِ ملائكةٍ قد ثَبَتَتْ وكلُّ تعدٍّ ومَعصِيةٍ نالَ جزاءً عدلاً* فكيف نُفلِتُ نحن إن أهمَلنا خلاصاً عظيماً كهذا قدِ ابتدأ النُّطقُ بهِ على لسانِ الربِّ ثمَّ ثبَّتَهُ لنا الذينَ سمِعوهُ* وشَهِدَ بهِ اللهُ بآياتٍ وعجائبَ وقوَّاتٍ متنوّعةٍ وتوزيعاتِ الروحِ القدسِ على حَسَبِ مشيئَتِه* فإنَّه لم يُخضِعْ للملائكةِ المسكونةَ الآتيةَ التي كلامُنا فيها* لكن شَهِدَ واحدٌ في موضعٍ قائلاً ما الإنسانُ حتى تذكُرَهُ أو ابنُ الإنسانِ حتى تفتَقِدَهُ* نقَّصْتَهُ عن الملائكةِ قليلاً. بالمجدِ والكرامَةِ كلَّلتَهُ وأقمتَهُ على أعمالِ يدَيْك* أخضَعْتَ كلَّ شيءٍ تحت قدَميه. ففي إخضاعِهِ له كلَّ شيءٍ لم يترك شيئاً غيرَ خاضعٍ له. إلَّا أنَّنا الآن لسنا نرى بعدُ كلَّ شيءٍ مُخضَعاً له* وإنَّما نرى الذي نُقِصَ عن الملائكةِ قليلاً يسوعُ مكلَّلاً بالمجدِ والكرامةِ لأجل ألَمِ الموتِ

حول الرسالة

في عيد رؤساء الملائكة نقرأ مقطعاً من الرسالة الى العبرانيين، يقيم فيه الرسول بولس مقارنة بين الرب يسوع والملائكة. الملائكة هم «أرواحٌ خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص» (عب ١: ١٤)، والرب يسوع أُرسل الى العالم ليمنحنا الخلاص: «بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد الى العالم لكي نحيا به» (١ يو ٤: ٩)، إذاً الله الآب أرسل الملائكة وأرسل الرب يسوع لكن الفرق بين الملائكة والرب يسوع هو ما يتّضح في رسالة اليوم.

العدد ٢٠١٥/٤٥

الأحد ٨ تشرين الثاني

عيد جامع لرؤساء الملائكة

ميخائيل وجبرائيل وسائر

القوّات العادمي الأجساد

اللحن السادس

إنجيل السَحَر الأول

«الله بعد ما كلّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء الذي به أيضاً عمل العالمين» (عب ١: ١–٢). بهذه الكلمات تبتدىء الرسالة الى العبرانيين الذين هم مسيحيون من أصل يهودي، والرسول يريد أن يؤكّد لهم ولنا أن العمل الخلاصي هو عمل واحد متكامل، رابطاً العهد القديم بالعهد الجديد. إن ما تمّ الإعداد له في العهد القديم مع الأنبياء الذين كلّمهم الله عبر الرؤى والأحلام والملائكة وأحياناً وجهاً لوجه كما حصل مع موسى النبي، يصل الآن الى كماله مع تجسّد ابن الله الذي هو الابن والوحيد وبه خلق العالمين، أي العالم السماوي والأرضي، الأرواح والأجساد.

في بداية مقطع رسالة اليوم، نتعلّم عن أهميّة قبول تعاليم الرب يسوع وخلاصه. إن كان من يعصى الكلمة التي نطق بها الملائكة ويتعدّاها (أي من يرفضها ويستمر في عصيانه) يجازى على عصيانه، «فكيف نُفلت نحن إن أهملنا خلاصاً عظيماً كهذا قد ابتدأ النُّطقُ به على لسان الربِّ ثم ثبّته لنا الذين سمعوه» (عب ٢: ٣). بمعنى آخر لقد تبيّن أن كلمة الملائكة هي ثابتة كونها أصبحت قانوناً عاش بحسبه الآباء في العهد القديم وعوقب من تعدّاه، أما الآن فيجب أن نحيا بحسب وصايا المسيح التي نطق هو بها وأكّدها تلاميذه عبر كرازتهم وعبر العجائب التي فعلوها باسم الرب، لأن الرب هو أسمى بكثير من الملائكة.

يكرّر بولس الرسول في توضيحه كيف أن المسيح هو أسمى من الملائكة، آيات وضعها داود النبي: «ما الإنسان حتى تذكره أو ابن الإنسان حتى تفتقده. نقَّصتَهُ عن

الملائكة قليلًا. بالمجد والكرامة كلَّلته وأقمتَه على أعمال يديك، أخضعت كلَّ شيءٍ تحت قدميه» (مز ٨: ٤–٦). هذه الآيات التي عبّر من خلالها داود النبي عن السلطان الذي أُعطي للإنسان من الله والذي فقده آدم بالخطيئة، ينسبها بولس الرسول الى المسيح الذي تنازل وأصبح إنساناً، أنقص بقليل من الملائكة، واستطاع أن يعيد للطبيعة الإنسانية كرامتها الأولى، لا بل رفعها أكثر لأنه جعلها متّحدة بلاهوته في شخص ابن الله.

لقد أخضع الله الكلَّ للمسيح، «إلاّ أنَّا الآن لسنا نرى بعدُ كلَّ شيءٍ مُخضَعاً له» (عب ٢: ٨). هذا الكلام يشير الى سمو المسيح على الملائكة: «فإنه لم يخضع للملائكة المسكونة الآتية التي كلامُنا فيها» (عب ٢: ٥). أما لماذا لا نرى الكلّ بعد مخضعاً له الآن، فلأن الإنسان يتمتّع بحريّة تمكّنه من رفض كلمة الله في هذه الحياة. أمّا إذا قبل بإرادته إطاعة كلمة الله فالرب يكمّل نواقصه ويرفع شأنه. أما في يوم الدينونة الأخير فسيخضع الجميع للمسيح، حتى الشيطان وملائكته سينهزمون هزيمة كاملة أمام ابن الله.

إن كان المسيح قد نُقص قليلاً عن الملائكة، لكننا نراه «مكلّلاً بالمجد والكرامة لأجل ألم الموت لكي يذوق الموت بنعمة الله من أجل الجميع» (عب ٢: ٩). لقد ظهر المسيح أقلّ من الملائكة بقليل لأنه قَبِلَ أن يموت بالجسد، بينما الملائكة لا يموتون، لكن في هذا الموت بالذات ظَهَرَ مجده وكرامته لأنه غلب الموت بموته وقيامته. إن المسيح ذاق الموت بالجسد لفترة قصيرة، وهو ذاقه لكي لا يعود الموت مرهباً لنا. هذا ما يوضحه القديس يوحنا الذهبي الفم مستخدماً صورة الطبيب الذي يتذوّق الدواء وهو غير محتاج للدواء ليعطي ثقة للمريض.

يقول بولس الرسول أن المسيح تذوّق الموت «من أجل كل واحد» ولم يقل «عن كلّ واحد». والفرق بين العبارتين هو أن المسيح مات من أجل كل البشر، لكن من يفعل فيهم عمله الخلاصي هم الذين يقبلون أن يموتوا معه من خلال موتهم عن حياة الخطيئة. إن مفعول موت المسيح لا يسري علينا إن لم نشارك فيه بأنفسنا، فلا يكفي أن نقبل موت المسيح قبولاً سلبياً بل يجب أن يقترن قبولنا لخلاصه بجهد شخصي نبذله لنبتعد عن الخطايا ولنكونَ من أبناء الخلاص.

ينتهي مقطع رسالة اليوم بالتشديد أن المسيح الذي به خُلق الجميع يأتي بأبناء كثيرين الى المجد. فهو من خلال بنوّته لله الآب واتّخاذه طبيعتنا جعلنا إخوةً له أي أبناءً لله بالتبني: «أخذتم روح التبني الذي به نصرخ: يا أبا الآب» (رو ٨: ١٥). لقد أظهر الرب حبّه لنا من خلال إكماله أساس خلاصنا بآلامه: «ليس لأحد حب أعظم من هذا: أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو ١٥: ١٣).

الذهبي الفم

المؤمن الأرثوذكسيّ يتعرّف منذ صغره على القدّيس يوحنّا الذهبي الفم، ويدخل في علاقةٍ روحيّة صلاتيّة معه من خلال القداس الإلهي للقديس يوحنا الذهبي الفم والذي يُقام في غالبيّة أيّام وآحاد السنة. كما هو معروفٌ، الكنيسة الأرثوذكسيّة حافظت على أربع خدمٍ ليتورجيّة لسرّ الشكر وهي تلك التي وصلتنا عن القدّيس باسيليوس الكبير وأخرى للقدّيس يعقوب أخي الرب إضافةً إلى قدّاس القدسات السابق تقديسها للقدّيس لكي يذوقَ الموتَ بنعمةِ الله من أجلِ الجميع* لأنَّه لاقَ بالذي كلُّ شيءٍ لأجلِه وكلُّ شيءٍ به وقد أورد إلى المجدِ أبناءً كثيرينَ أن يجعلَ رئيسَ خلاصِهم بالآلام كاملاً.

الإنجيل

(لوقا ٨: ٤١–٥٦)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ إنسانٌ اسمُهُ يايِرُسُ وهو رئيسٌ للمجمع وخرَّ عند قَدَمَيْ يسوعَ وطلبَ إليهِ أن يدخُلَ إلى بيته* لأنَّ لهُ ابنةً وحيدةً لها نحو اثنتَيْ عَشْرَةَ سنةً قد أشرَفَت على الموت. وبينما هو مُنطَلِقٌ كان الجموعُ يزحمونهُ* وإنَّ امرأةً بها نَزْفُ دمٍ منذ إثنَتَيْ عَشْرَةَ سنةً وكانت قد أنْفَقَتْ معيشَتَها كلَّها على الأطِبَّاءِ ولم يستَطِع أحَدٌ أن يَشْفِيَها* دنَتْ من خَلْفِهِ ومسَّت هُدْبَ ثوبهِ وللوقت وقف نَزْفُ دمِها* فقال يسوعُ مَن لَمَسني. وإذ أنكرَ جميعُهم قال بطرسُ والذين معهُ يا معلّمُ إنَّ الجموعَ يضايقونَك ويزحمونَك وتقول مَن لَمَسني* فقال يسوعُ إنَّهُ قد لَمَسَني واحدٌ. لأنّي علِمْتُ أنَّ قوَّةً قد خَرَجَتْ منّي* فلمَّا رأتِ المرأةُ أنَّها لم تَخْفَ جاءت مُرتَعِدَةً وخرَّت له وأخبَرَتْ أمامَ

كلّ الشعبِ لأيَّةِ علَّةٍ لمستهُ
وكيف برئَت للوقت* فقال لها ثِقي يا ابنةُ. إيمانُكِ
أبرأكِ فاذهبي بسلامٍ*
وفيما هو يتكلَّمُ جاءَ واحِدٌ
من ذوي رئيسِ المجمعِ
وقال له إنَّ ابنتَكَ قد ماتتْ
فلا تُتعِبِ المعلّم* فسمعَ
يسوعُ فأجابه قائلاً لا
تَخَفْ. آمِنْ فقط فتبرأ هي*
ولمَّا دخلَ البيتَ لم يدَعْ
أحداً يدخُلُ إلَّا بطرسَ
ويعقوبَ ويوحنَّا وأبا
الصبيَّةِ وأمّها* وكان
الجميعُ يَبكون ويَلطُمون
عليها. فقال لهم لا تَبكوا.
إنَّها لم تمُتْ ولكنَّها نائمة*
فضحِكوا عليه لِعلْمِهم
بأنَّها قد ماتت* فأمسَكَ
بيدِها ونادى قائلًا يا
صَبيَّةُ قومي* فرجَعَتْ
روحُها وقامَتْ في الحال
فأمَرَ أن تُعطى لِتأكل.
فدَهِش أبواها فأوصاهما
أن لا يقولا لأحدٍ ما جرى.

تأمل

الله نفسه هو صانع الملائكة وبارئهم ومُخرجهم من العدم إلى الوجود. وقد خلقهم على صورته الخاصة، طبيعةً لاجسميّة، على مثال ريحٍ ما ونارٍ لامادّيّة، كما يقول داود النبي: «الصانع ملائكته رياحاً وخدّامه لهيب نار» (مز ١٠٣: ٤). وقد صمّم الله فيهم الخفّةَ والتوقُّدَ والحرارة وسرعة النفوذ والحدّة في تلبيةِ أوامره وخدمته والتسامي غريغوريوس الذيالوغوس. أمّا الخدمة التي تركها لنا الذهبي الفم أو التي ينسبها التقليد إلى هذا القدّيس فهي الأكثر استخداماً وتلاوةً على مدار السنة.

سمّي القدّيس يوحنا بالذهبي الفم بسبب غزارة العظات والتعاليم التي خلّفها للكنيسة. فهو يدفق ذهباً من خلال الكلمات القيّمة التي ألقاها. كما يحلو للبعض مناداته دفّاق الذهب إشارةً إلى تدفّق التعليم. دوره كأسقفٍ «للمدينة» أي مدينة القسطنطينيّة، ساهم في انتشار تعاليمه وفرض عليه في الوقت عينه إلقاء الكثير من الخطب والعظات.

مع انتشار المسيحيّة لم يكن هناك من خدمةٍ واحدة محدّدة لسرّ الشكر تقام في كلّ الجماعات المسيحيّة. كان الإجتماع الإفخارستيّ مبنيّ على اللّقاء حول مائدةٍ واحدةٍ حيث تكون قراءاةٌ من الكتاب المقدّس وكسرٌ للخبز كما أوصى السيّد في العشاء الأخير. من خلال دوره كأسقفٍ لعاصمة الإمبراطوريّة وبسبب الحاجة الرعائيّة رتب القدّيس يوحنا خدمة لإتمام سرّ الشكر حسب وصيّة السيّد. وهذه الخدمة تتمحور حول شكر اللّه والإشتراك في جسده ودمه المقدّسين انطلاقاً من قول الكتاب المقدّس «لأنّنا أعضاء جسده من لحمه وعظامه».

يعلّمنا الذهبي الفم أنّ المسيح بتقديمه جسده لنا إنّما يعبّر عن كمال المحبّة. لم تتوقّف المحبّة عند حدود البشرة أي لم تتوقّف عند صعود الرب إلى السماء وغيابه بالجسد عنا. إنّما هذه المحبّة تستمرّ بشكلٍ سرّي من خلال سرّ الشكر حيث يتحوّل الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه المقدّسين. هذه التقدمة لم تكن آنيّة أو مرحليّة، إذ بمحبّته المطلقة للبشر أصبحت الذبيحة الخلاصيّة سرٌّ للعشرة الإلهيّة التي يحياها المؤمن الحق في شركته مع الرب يسوع. بالمناولة لا ينظر المؤمن الجسد الإلهي عن بعدٍ كما فعلت مريم والنسوة مع التلميذ الحبيب وقائد المئة وحسب، بل يتناول المؤمن الجسد والدم ويتّحد بهما لتكون هذه الشركة شاملةً حواسّ الإنسان كافّةً. يتذوّق الإنسان المؤمن المحبّة المطلقة ليختلط الإلهي بالمخلوق عند تناول الأسرار المقدّسة فيحصل المؤمن على بذار الحياة الأبديّة ويتقدّم نحو التألّه الذي هو غاية حياة الإنسان. ويتحدّث الذهبي الفم عن الدور الليتورجي للكاهن. فالكاهن كما يلاحظ المستمع عند الإنتباه إلى كلام الخدمة، هو وسيطٌ مفرَزٌ لإقامة هذه الخدمة والتضرّع من أجل الشعب. دوره مرتبطٌ بالناس أي لا يمارس عمله الكهنوتي بمعزلٍ عن جمهور المؤمنين ولا يُبشّر إلّا بالكلمة الإلهيّة المتجسّد. الخدمة بحدّ ذاتها تعبّر عن هذا التواصل بين المؤمن والله من خلال الكاهن. ففي إفشين التقدمة يقول الذهبي الفم: «أيّها الرب الإله الضابط الكلّ القدّوس وحدك، القابل ذبيحة التسبيح من الذين يدعونك بكلّ قلوبهم، تقبّل منّا نحن الخطأة طلبتنا وقدّمنا إلى مذبحك المقدّس واجعلنا جديرين بأن نقدّم لك قرابين وذبائح روحيّة عن خطايانا وجهالات الشعب». والكاهن بحسب الذهبي الفم، إنسانٌ تائبٌ مدركٌ خطيئته ورغم توبته يبقى شعور عدم الإستحقاق غالباً حين التقدّم إلى القدسات، ولا يقدر الكاهن أن يتقدّم لإتمام هذا السرّ إلاّ بانسحاق. هذا السرّ ليس بالعمل الروتيني أو التلقائي كأيّ وظيفة عالميّة بل هو خدمةٌ تتمّ فقط بمؤازرة الروح القدس «أنظر إليّ أنا عبدك الخاطئ والبطّال وطهّر نفسي

وقلبي من كلّ نيّةٍ شرّيرة واجعلني كُفؤاً بقوّة روحك القدّوس إذ أنا لابسٌ نعمة الكهنوت، أن أقف لدى مائدتك هذه المقدّسة وأخدم جسدك المقدّس الطاهر ودمك الكريم». لا يشعر الكاهن بافتخار ومجدٍ باطل كونه متقدّماً الشعب رافعاً صلاتهم للّه، لأنّه كما أشرنا هو غير ذي قدرةٍ إلاّ بمؤازرة الروح القدس. مع هذه المؤازرة يبقى الدور الرئيسي للكلمة الإلهيّة «لأنّك أنت المقرِّب والمقرَّب والقابلُ والموزِّع أيّها المسيح إلهنا».

هذه الشركة بين الله والبشر، التي تتغذّى وتنمو في كلّ خدمةٍ شكريّة إنّما هي خميرة للحياة الأبديّة، تُثمر في المؤمن لينال الصفح عن الخطايا «وغفران الزلّات وشركة الروح القدس وميراث ملكوت السموات» والدّالة لدى المسيح الإله. لا ننسينّ أنّ الربّ واقفٌ على الباب يقرع منتظراً أن نفتح له قلوبنا ليسكنها. أعطانا لا مرّةً وحسب بل وفي كلّ يوم أن نشارك في جسده الطاهر ودمه الذي أهرق من أجلنا على الصليب لكي نحيا نحن. إنّنا مدعوّون من خلال ليتورجية الكنيسة إلى التشبّه بالقدّيسين وعيش حياة النعمة بالمحبّة والتواضع.

سيامة كاهن

في مناسبة عيد القديس ديمتريوس ترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي صباح الإثنين ٢٦ تشرين الأول في كنيسة القديس ديمتريوس في الأشرفية. خلال القداس سام سيادته الشماس يوئيل ناصيف كاهناً ليخدم كنيسة الله المقدسة. بعد الإنجيل ألقى سيادته عظة توجه فيها إلى الكاهن الجديد بكلام قاله الرسول بولس إلى تليمذه تيموثاوس (٢ تي ١–١٠)، وهي الرسالة التي تُقرأ في عيد القديس ديمتريوس. يقول الرسول لتلميذه «تقوَّ في النعمة التي في المسيح يسوع» أي لا تضعف أمام أي اضطهاد أو تجارب. كذلك يريده أن يستودع الكلام الذي علّمه إياه علناً الأمناء الذين يحبون الرب، وأن يحتمل الصعاب كجندي صالح للمسيح. قائد الكاهن الأوحد هو المسيح وهو يؤمّن للكاهن كل ما يحتاجه للحياة والمسيح يرفع عنه الهموم والأتعاب. وما عمل الكاهن سوى أن يسبّح الرب في كل وقت وينقل كلمته.

ومما قاله سيادته:

«هذا الكلام الذي وجّهه بولس الرسول إلى ابنه تيموثاوس، اليوم أتوجّه به إلى الشماس يوئيل ليسمعه. من أحبّ أباً أو أمّاً أكثر مني فلا يستحقني، من أحبّ ابناً أو بنتاً أكثر مني فلا يستحقني. مهما كانت العاصفة قوية، ليس من حاجز يقف دون محبتي لله التي تأتي أولاً، ودون محبتي للآخرين.

هذا الكلام أقوله لكل إنسان يريد أن يكرّس حياته لخدمة الرب كما يكرّسها هذا الابن الحبيب يوئيل ليكون في خدمة الرب في كل حين عندما يحتاجه الرب وعندما يحتاجه الإنسان.

فلتكن يا أحبة، صلاتكم مرفوعة من أجل أن يساعده الرب أمام التجارب، أمام الصعوبات، أمام المشقات لكي يثق ويؤمن بأن الله معه والله لا يترك محبّيه أبداً. فالرب يكون معه ويحفظه لكي يكون مع الرب في ملكوته . آمين».

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb

بذواتهم ونفوسَهم من كلّ فكر مادّي.

إنَّ الملاك جوهرٌ عقلاني، دائم الحركة، مطلقُ الحريّة، لا جسمَ له، يخدم الله ويتمتع في طبيعته بنعمة الخلود. أمَّا نوع جوهره وتحديده فلا يعرفهما إلاَّ الخالق وحده. ويُقال فيه بأنه لاجسميّ ولامادّي، ذلك بالنسبة إلينا، لأنّ كلّ شيء بالمقابلة مع الله – الذي هو وحده ليس مَن يضاهيه – يبدو كثيفاً ومادّيًا. وبالحقيقة إنّ اللاهوت وحده منزَّهٌ عن المادة والجسم.

إنهم لمحدودون، فهم عندما يكونون في السماء لا يكونون على الأرض وإذا أرسلهم الله إلى الأرض لا يبقون في السماء. لكنّ الأسوار والأبواب والأقفال والأختام لا تحول دون وجودهم، لأنهم لا يُحصرون. وأقول لا يُحصرون لأنهم لا يظهرون كما هم للمستحقّين الذين يريد الله أن يَظهروا لهم، بل يتّخذون صورةً يستطيع معها الناظرون إليهم أن يروهم. أمّا ذاك غيُر المحدود طبعاً وحقيقةً فهو الأحد الذي لم يُخلق، لأن كلّ خليقة إنما يحدِّدها الله الخالق نفسه.

القديس يوحنا الدمشقي